طفولتي

٨

ياسمين إبراهيم عليان

مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي

F
AIL
c.1

طفولتي

تأليـف ورسـومـات :

ياسمين إبراهيم عليان

الاسم : ياسمين إبراهيم عليان

العمر : ١٤ سنة

الصف: الثامن

المدرسة: بيت صفافا

البلده : بيت صفافا

مكتبة مؤسسة تامر
Class #: ق رقم التصنيف
Serial #: 6140 رقم التسلسل

F
AFL
C17

إهداء

إلى معلّمي ومربّي الذين أضاءوا لي الطريق
وإلى معلمي الفاضل إبراهيم جوهر الذي أعطاني من وقته
وعلّمه الكثير
وإلى أمي وأبي أصلُ وُجودي
ولكل قارئ قلّب صفحات كتابي.

مدرسة
بيت حنانا

براءة الطفولة

أقلعت الطائرة مغادرة أرض الكويت لتحط بنا بين أحضان الوطن الحبيب (فلسطين)؛ حينها كنت أجلس في حضن والدتي العزيزة. ذلك الفراش الناعم المليء بالحب والحنان. وأرفع رأسي لأنظر لوجهها الأبيض الباسم وعينيها الزرقاوين اللتين تشعان عطفاً ومحبة. بينما كان والدي وأخي في الجانب الأيسر منا مكتوفي الأيدي مستغرقين في التفكير.

مضى الوقت يخيم علينا كالصاعقة حتى أعلنت مضيفة الطيران وصولنا بسلامة وأمان. فشكرنا الله واندفعنا نحزم أمتعة السفر. ومضينا في طريقنا نقطع جبالاً وتلالاً وأودية وهضاب إلى أن وصلنا بيتاً قديم البناء. سميك الجدران. عالي الارتفاع. تحيطه أرضٌ واسعةٌ مليئةٌ بأشجار التين والعنب والفاكهة. دخلنا ويتملكني شعور بالدهشة والإستغراب. فلم أر هذا من قبلُ في حياتي. وما أن مضى بعضُ الوقت حتى توجهت نحو أمي سائلة: "متى سنعود يا أمي عند باقي إخوتي ؟" فهزت أمي رأسها معلنة الإستسلام: "حين يشاء الله يا ابنتي". لم أفهم قصد أمي. ومضيت وأبي نتجول في تلك الأراضي الخضراء المثمرة نقطف الثمار. وندوس على بساط العشب الأخضر والورود الزاهية التي لم أر مثلها من قبل في حياتي. فالكويت تملؤها رمال الصحراء القاحلة. لا نبات ولا ثمار طازجة. ولما حان وقتُ الغداء شرعت أساعد والدتي في تحضير الطاولة. فأحضرتُ إثنتي عشرة ملعقة. حينها إنهمرت الدموع من عينيْ أمي. وقال أبي: "صحيح أنك أصغر بناتي لكنك لا تنسي شيئًا فأنت ذكية منذ ولادتك".

إفهمي يا ابنتي أننا سنبقى هنا دون بقية إخوانك".

فتضايقت كثيراً وبقيت تلك الجملةُ ترن في مسمعي: كيف سنبقى هنا لوحدنا؟ أين إخواني؟ أين أعمامي وأخوالي الذين كانوا يستقبلونني بالابتسامة العذبة والهدايا الكثيرة؟ ثم تقدمت نحو أبي سائلة: "أنعيش في هذا البيت القديم ونترك بيتنا الجديد والجميل؟" فأجابني أبي بصوت حاد : "قضاء الله وقدره، ثم أن عيشة الوطن أفضل من الغربة بكثير". فتجاهلت قول أبي لأنني لم أكن أدرك قيمته بعد.

ودارت عقارب الساعة ومضت الأيام تلو الاخرى وكانت أمي تكرّس وقتها وجهدها من أجلي ولا أزال أذكر تلك الساعات التي كانت تغذيني فيها بالعلم، فتقص البطاقات لتكتب الحروف والكلمات وتشتري لي العدّاد لتساعدني على السير والهداية. لكنني كنت أعلم من صغري أن الطريق لا تُقطع إلا بعد تعب ومشاق فسرت في دروب العلم منذ نعومة أظافري.

لقد كنت في صغري أهوى كل من حولي، أهوى كل إنسان ذو إبتسامة عذبة ولطيفة. كنت طفلة هادئة البال مطمئنة الخاطر لا يهمني سوى دميتي الصغيرة التي كنت أشعر بالسعادة الفائقة حين أضمها بين ذراعي لأجعل منها صديقة تستمع لأفراحي وأحزاني، فلم أكن أجد من يستمع إلي، فالكل مشغول. وفي أيام الشتاء الباردة لم نكن نخرج من البيت إلا للضرورة، فالمنطقة جبلية مرتفعة مزدحمة بالرياح القوية والعواصف الثلجية. حينها كنا نجتمع حول المدفأة نتناول الكستناء أو بعض المكسرات بينما نستمع لإحدى الحكايات المثيرة من والدي، وبقينا هكذا نعاني الوحدة والرعب والظلام الدامس إلى أن قدم إخوتي من الغربة

وأصبح صندوقنا يضم جميع
أدواته بعد أن كانت مبعثرة.
فكم من الابتهالات والأدعية
دعتها أمي راجية من الله أن
يجمع شملنا ويوحد صفنا.
وكم من المرات العديدة كنت
ألوح بيدي لكل طائرة أراها
فأصيح بأعلى صوتي: "أيتها
الطائرة أعيدي إخوتي،
أعيديهم كما أعدتينا سالمين."
فحققت الطائرة لي مطلبي
وعمت الفرحة الجميع.
واكتملت أسرتنا بحمد الله،
فما بعد الضيق إلا الفرج.

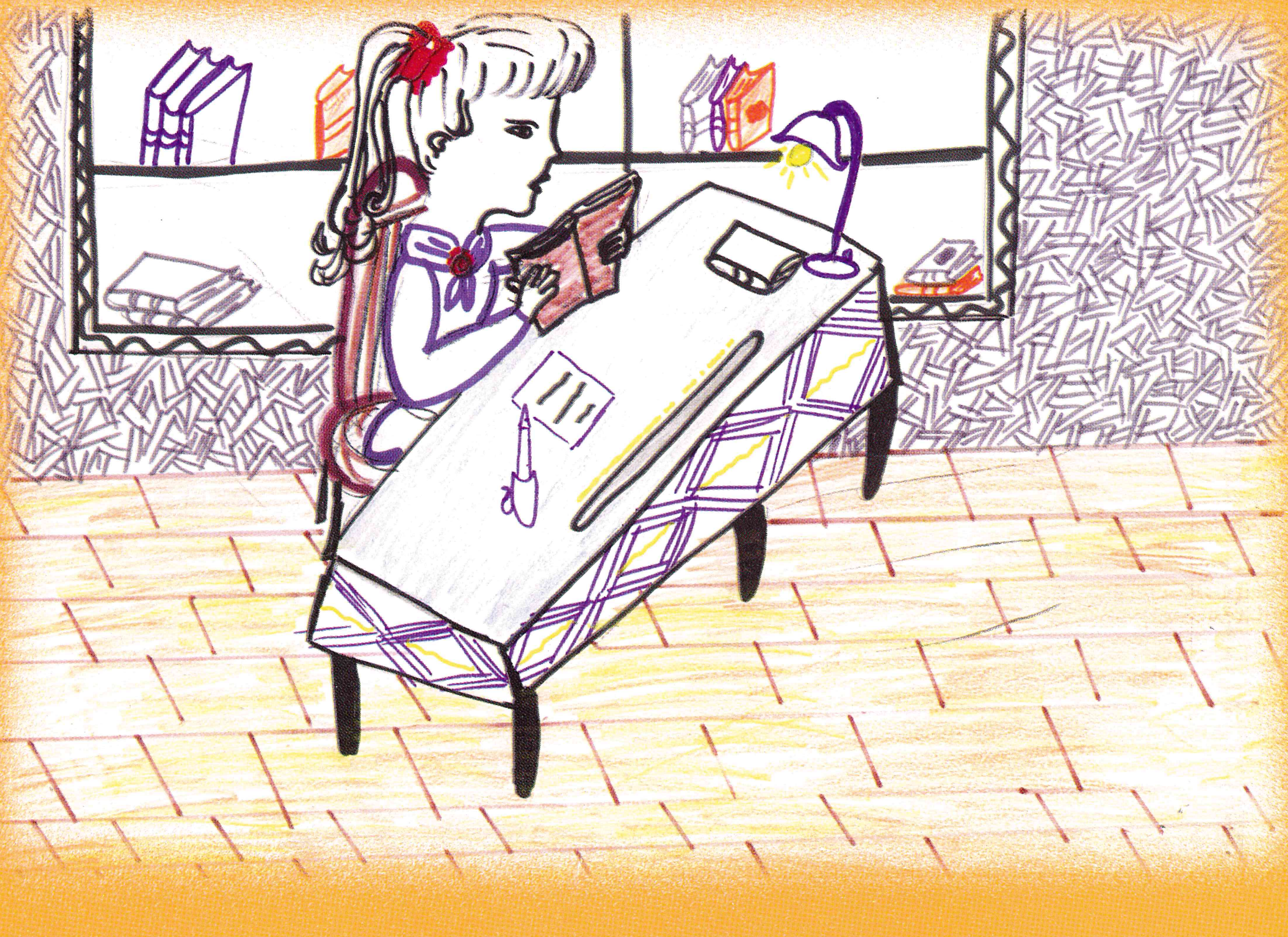

اليوم الأول في الدراسة

قلبت صفحات حياتي لأطلعكم على ذلك اليوم الذي غادرت فيه هذا العالم الصغير، عالم البراءة، لأستنشق من شذى العلم والصمود. حين حزمت حقيبتي المدرسية وأمسكت أمي براحة يدي الصغيرة وأودعتني لمعلمة تدعى سناء وهي تقول لها: "ها أنا أودعك هذه الأمانة الغالية فلا تبخلي عليها بشيء". فهزت المعلمه رأسها وهي تبتسم ابتسامة عريضة وتقول :" لاتخافي يا خالة، دعيها في رعايتي، حفظها الله من كل سوء. فطبعت أمي قبلة على خدي ولوحت بيدها وهمّت بالانصراف وهي تقول لي : "لا تتأخري علي يا صغيرتي". ملوّحة لها بيدي معلنة الاستسلام إلى فراقها. وسرت إلى ذلك البستان الجميل وما كدت أخطو أولى خطواتي حتى توقفت صامتة : ما هذا الرونق والجمال ! أنعيش طوال هذه السنة نرتع ونلعب وسط هذه الحديقة الجميلة. إنها جميلة حقاً تسر الناظرين وتشرح قلب الجالسين وسط كل هذه الورود الزاهية ذات الأزهار المتفتحة والرائحة العطرة. وسرت بداخلها وإذا بساحة كبيرة مليئة بالأراجيح والألعاب العديدة. بينما يلعب الأطفال الذين يملؤون الجو فرحاً ومرحاً. حقاً سأكون سعيدة هنا.

لكنني أتيت للدراسة والتعليم. وما إن دارت ببالي هذه الأفكار حتى سمعت صوت المعلمة تدعوني للدخول فسرت بسرعة وسط عدد الطلاب المتزاحمين المتسابقين وبعد مشقة وصعوبة جلست على أحد المقاعد مع باقي التلاميذ نسمع الحكايات المفيدة ونتعلم الحروف والأرقام لنركّب الجمل. ومضى الوقت بسرعة وحان موعد العودة وحملتُ حقيبتي من جديد وودّعت معلمتي وانطلقت راكضة نحو البيت تحت أشعة الشمس الحارة والطريق الطويلة. لكن لا يهم فالكل يهون في سبيل العلمْ. وبعد وقت طويل وتعب شاق وصلت إلى مصدر الحب والحنان وإلى بيتي المليء بالعطف والأمان.

في المدرسة

سرت في دروب العلم لأقف على طريق خضراء واسعة ذات نور ساطع وأمل مستمر. لكنني علمت أن النور الكبير لا يبدأ إلا بشعاع صغير ينبعث في حياة الانسان فبدأت أشعل عودا تلو الآخر حتى وصلت بداية ذلك النهر الجاري المليء بالعوائق الوخيمة والأخطاء المؤلمة. يجرفك معه إلى حيث يريد. فإذا كنت غواصاً ماهراً تخطيت كل الصعاب وواجهت كل التحديات. وإن أغمضت عينيك يوماً ما ستقذفك المياه إلى ضفاف مليئة بالرعب. مليئة بالظلام. لذا بقيت متصدية لكل أذى يلحق بي فصاحبت الأخيار وابتعدت عن الأشرار واقتلعت الاشواك لأحارب أعدائي بسيوف العلم التي لم تكلّ ولن تخذل يوماً.

يوم أملي

مع أشعة الشمس الذهبية وصراخ أطفال الحي، نهضت من أحلامي وإنتقلت إلى عالم الحياة القاسية الجبارة. فتحت عيني، وإذا بالجسد النحيف الطويل ذو الشعر الذهبي يقول لي : "يا بنتي تأخرت في نومك فقلقت عليك، هيا إنهضي بسرعة". فقلت: "لمَ أراك ترتدين هذه الثياب يا أمي؟".

- سأقوم بجمع الفاكهة من الحقول.
- وهل تسمحين لي بمرافقتك؟ فهذا يوم عطلتي فدعيني أقضيه فيما أحب.
- لا بأس يا بنتي جهزي نفسك بسرعة.

فنهضت بسرعة البرق إلى ملابسي وطعامي ثم سرت مع والدتي نحو حقول اللوزيات ودخلت وسط أشجار الفاكهة الناضجة، والأشجار العالية؛ فتذكرت ذلك الانسان الضعيف الذي يبذل قصارى جهده ليكبر ويتخطى الصعاب.

إنه يكافح ويناضل من أجل الأولاد والبنات، ومهما طال كفاحه ونضاله فسيدخل القبر ويفنى تحت التراب، وها هي الشجرة تحضر الطعام وتمتص التراب لكي تثمر، وبعدها أقطف ثمارا ناضجة، ونظرت لأعلى الشجرة وأمي تقول لي: "أقطفي قليلاً من الثمار لكي نسرع بالخروج لبيت العمة".

فهممت بالخروج مع أمي تاركة عالم الخضرة والجمال، عالم الكفاح والنضال،

نحو منزل عمتي، فسرت بخطوات متثاقلة بعد التعب الشديد والحرارة المشتعلة، وما كدت أصل باب البيت حتى انهار حجر كبير على رأسي، نتيجة لمزاح ثقيل من ابن عمتي ففقدت وعيي لمدة قصيرة وبعدها فتحت عيني وإذا أنا بين أحضان أمي وصوتها تختلط به الدموع تقول: "لا تخافي يا بنتي فنحن نسير نحو المستشفى".

ـ المستشفى ولمَ يا أمي؟

فقالت والبكاء يغمرها : "لقد تآذيت في رأسك". فلما وضعت يدي على رأسي وإذا بالدم ينزف بغزارة، فدخلت المستشفى وأنا نادمة على الذهاب إلى بيت عمتي.

لكن "قدر اللهُ وما شاء فعل" فأحاط بي ملائكة الرحمة تقوم بمعالجتي إلى أن أنهيت العلاج، فودعتهم وركبت السيارة نحو البيت، وعدت إلى بيتي ووجوه الجميع تمتلىء بالحزن والشفقة علي فتقدمت نحو الجميع وقلت : "لقد كانت المرة الأولى التي أتألم بها إلى ذلك الحد لعدم حرصي على نفسي".

"فدرهم وقاية خير من قنطار علاج"

إنضمامي لدورة الابداع

عندما وصلت الدرجة السادسة من سلم العلم أخذت أقطف من ثمار تلك الاشجار. أشجار أهلي الاعزاء الذين يطوقون عنقي بيدين من الحب. فقد أعطوني الكثير ومدوا لي يد العون والمساعدة. فأني لا أزال أذكر تلك المعلمة العزيزة ذات الشمعة المضيئة، التي وضعت رجلي على أول الطريق. هذه الطريق ذات الشعاع الخافت الذي يحتاج إلى وقود ليشتعل أكثر فأكثر فيملأ العالم نوراً وسلاماً.

فسرت في طريق الابداع .

الابداع: إنها جوهرة ثمينة كنت أبحث عمن يصقلها، عمن يعرف قيمتها. فلم يقدرها الجُهّال بثمن. إلى أن برز ذلك الفارس القوي، ذو السلاح المتين يعلّم أبناء أمته ليساندوه في حروبهم للقضاء على الجهل، فأخذ يسقينا رويدا رويدا ونحن نلتقي على مائدة الابداع، يصوّب أخطاءنا ويعزز شخصيتنا عند الصواب. كبرنا نحن البراعم الصغيرة وعيون أستاذنا إبراهيم جوهر ترعانا. فأصبحت كشجرة صغيرة تكافح وتجدّ لتعطي ثمار الجهد المشترك. لقد كنت كالكتاب الثمين المغلق يكاد الغبار أن يفنيه حتى أتى ذلك القارئ، أزال الغبار شيئا فشيئا وابتدأ يقلب صفحات حياتي إلى أن أطلعكم على صفحة كتابي الاول بعنوان "طفولتي".

سلسلة كتابي الأول

منذ بداية عملها أولت مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي أهمية خاصة للتعبير بكافة أشكاله وصوره وعلى الأخص التعبير الكتابي كوسيلة للتعبير عن وتدوين الخبرات الذاتية والفردية والجماعية. ولقناعتنا بأن هذه الخبرة يمكن إكتسابها وتنميتها منذ الطفولة ولتشجيع الأطفال على التعبير الكتابي الإبداعي، فقد إرتأت المؤسسة وضمن فعاليات أسبوع القراءة الوطني لعام ١٩٩٥ طرح مسابقة (كتابي الأول) دعت فيها الأطفال من عمر ٨ إلى ١٤ عاما لكتابة سيرهم الذاتية وما تتضمنه من خبرات وتجارب خاصة، وقد استجاب لهذه المسابقة عدد من الأطفال والفتيان والفتيات.

ولم تكن هذه المسابقة لتأخذ طابع المسابقات التقليدية (سؤال وجواب، أو إختيار الفائز/ة الاول/ى فالثاني/ة ... وهكذا) بل كانت فكرتها إتاحة الفرصة للأطفال للتعبير عن ذواتهم بلغتهم الخاصة ورسوماتهم وأن يثبتوا لأنفسهم قبل الكبار بأنهم قادرون لا اتكاليون، منتجون لا مستهلكون.

تزداد قناعتنا يوما بعد يوم بروعة وحجم القدرات الكامنة لدى الأطفال والفتيان والفتيات التي تحتاج إلى توفير أجواء تساعدهم على تطويرها. ونستغل هذه الفرصة لدعوة جميع الأهالي والمؤسسات التعليمية وجميع العاملين مع الأطفال التركيز على هذا البعد الحيوي في تطور شخصية الطفل وهو النمو اللغوي والتعبير الكتابي.

وتقديرا لهذا الانتاج، تقرر نشر أفضل هذه المساهمات في سلسلة كتابي الأول التي تجدونها بين أيديكم ونأمل أن نستمر برفد هذه السلسلة من خلال مسابقة كتابي الأول التي سوف تنظم كل سنة بمناسبة أسبوع القراءة الوطني.

صدر من هذه السلسلة:

١٩٩٧:

١- قطتي النغنوشة
٢- مشيئة الله
٣- الصوص المحبوب
٤- عشر سنوات من عمري
٥- أحلى الايام وحياة شابة

١٩٩٨:

٦- قصة حياتي
٧- الحلم أصبح حقيقة
٨- طفولتي
٩- فجر الحرية
١٠- رحلاتي ومسيرة حياتي